بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ان الحمد لله •• نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ••

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا •• من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ••

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له •• له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير ••

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وحبيبه ، وخيرته من خلقه •• بعثه الله على فترة من الرسل •• فبلغ الرسالة وأدى الأمانة •• ونصح للأمة وجاهد فى الله حق جهاده •• وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك ••

فاللهم صل عليه وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين •

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون »(١) •

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا »(٢) •

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا • يصلح لكم

---

(١) آل عمران : ١٠٢ (٢) النساء : ١

أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما »[٣] .

وبعد .. فان الدين عند الله — منذ خلق آدم الى أن يرث الأرض ومن عليها — هو الاسلام .. يقول تعالى : **« أن الدين عند الله الاسلام »**[٤] .

ويقول جل وعلا : **« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »**[٥] .

ويقول سبحانه : **« أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون »**[٦] .

والاسلام .. دين التوحيد ..

التوحيد الذى نادى به الأنبياء والرسل منذ أرسل الله نوحا عليه السلام أول الأنبياء .. الى أن بعث محمداً ﷺ .. خاتم الأنبياء والمرسلين .

« اعبدوا الله ما لكم من اله غيره »[٧] .

قالها نوح .. كما قالها ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ..

وقالها موسى وهارون وأيوب ويونس ، وسليمان وداوود ، وعيسى ابن مريم عليهم السلام .

وقالها محمد بن عبد الله ﷺ .. وأخذ علينا بها العهد : **« ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »**[٨]

انه التوحيد الكامل للألوهية ..

توحيد الاسلام .. لا ثنوية الفرس أو تثليث النصارى[٩] ..

التوحيد .. وليس الوحدة !!

---

(٣) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ (٤) آل عمران : ١٩
(٥) آل عمران : ٨٥ (٦) آل عمران : ٨٣
(٧) الأعراف : ٥٩ (٨) آل عمران : ٦٤
(٩) الثنوية ، أو المانوية ، مذهب يقول بالهين اثنين ، اله للخير واله للشر ويرمز لهما بالنور والظلمة ، والتثليث معروف ..

ولهذا .. كان من آواخر الآيات نزولا قوله تعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينـا** » (١٠) .

نزلت فى حجـة الوداع .. فكانت ايذانا بأن الدين قد كمل ، وأن النعمة قد تمت .. وأن الله تعالى قد ارتضى أن ندين بالتوحيد .. عقيدة الاسلام ..

العقيدة التى لا تتخذ لها ربا والهاً الا الله وحده .. الله الواحد الأحد .. الذى لا شبيه له ولا ند ولا نظير .. الذى لم يتخذ شريكا ، ولا صاحبة ، ولا ولدا ..

الله تعالى فى عقيدة التوحيد .. هو الفرد الصمد ، الدائم الباقى .. الذى لم يزل ولا يزال .. المستغنى عن كل أحد ، والمحتاج اليه كل أحـد .. المقصود فى جميع الرغائب ، والمستعان به فى جميع المصائب ..

يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .. وهو تعالى الكامل المنزه عن العيوب والنقائص .. الذى يصمد اليه الخلق فى النوازل والحوائج ..

وهو تعالى الحى الباقى .. الذى لم يلد ولدا ، ولم يلده والد .. فليس شىء يولد الا وسيموت .. وليس شىء يموت الا وسيورث .. والله تعالى لا يموت ولا يورث ..

ليس كمثله شىء .. وهو السميع البصير .

« **قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد** » ..

فى عقيدة التوحيد : الله تعالى هو الخالق للأشياء كلها .. وليس هو عين هذه الأشياء التى خلقها ، كما تقول عقيدة الوحدة ..

فالوجود — فى عقيدة الوحـدة — ليس الا وجودا واحـدا ، وما العالم الا مظاهر ومجالى لهذا الوجود الواحد .. فالله سبحانه —

---

(١٠) المـائدة : ٣

فى عقيدتهم — هو الموجود الحق ، وكل ما عداه ظواهر وأوهام لا توصف بالوجود الا بضرب من التوسع والمجاز !!

عقيدة التوحيد تقول : « لا اله الا الله » .. أى لا معبود بحق سوى الله تعالى ..

وعقيدة الوحدة .. تدعى أن الكون كله قد انبثق من نواة واحدة .. وأن الله تعالى هو هذه النواة ، وما أسماؤه وصفاته الا أجزاء هـذا الكون ومظاهره من كل ناطق وصامت ، وساكن ومتحرك !!

وتزعم هذه العقيدة الضالة : بأن كل عابد مهما عبد .. من انسان أو حجر أو شجر أو كوكب أو حيوان .. فما عبد الا الله !!

وتزعم عقيدة الوحدة أن الكون كله سوف يعود يوم القيامة الى نواته الأولى .. وهى — فى زعمهم — الله تعالى .. فمن ثم لا جنة ولا نار ، ولا ثواب ولا عقاب .. فمن الذى يثيب ، ومن الذى يثاب ؟ .. ومن الذى يعاقب ومن الذى يقع عليه العقاب ؟ .. مادام الكل فى واحد !!

ولهذا .. ترفض عقيدة التوحيد القول الفاجر بأن الله تعـالى : خلق الأشياء وهو عينها !!

فالله تعـالى هو الخالق لكل شىء .. خلق السـموات والأرض والجبال والبحار ..

خلق الملائكة والانس والجن ..

خلق الحيوان والنبات والجماد : « **الله خالق كل شىء** »[١١] .

ولا يمكن — فى عقيدة التوحيد — أن يكون الله تعالى الخالق للأشياء كلها هو عين هذه الأشياء !!

ولقد اعتنق التصوف الاسـلامى نظرية وحدة الوجود .. التى ابتدعها محيى الدين بن عربى ، فعارض بها تماما عقيدة التوحيد !!

---

(١١) الرعد : ١٦

ومن هذا المنطلق — منطلق التوحيد لا الوحدة — جاء موضوع هذا الكتاب وعنوانه .. فالاسلام فى حقيقته : دين « التوحيد ، وليس الوحدة » ..

وسنتعرض — بمشيئة الله — فى فصول هذا الكتاب لأصل كلمة التصوف ونشأته وتطوره .

كما نتعرض لبسط نظرية وحدة الوجود .. ومذهب الصوفية فى التفسير الباطنى للقرآن الكريم .. بالاضافة الى موقفهم من الوحى والنبوة ، وعقيدتهم فى المعجزة والكرامة والولاية ..

كما نتحدث عن ادعائهم معرفة الغيب وانكشاف الحجب عنهم .. وتعظيمهم للقبور وتقديس المقبورين ، وتفسيرهم للتوسل والوسيلة ..

بالاضافة الى طريقتهم فى أداء الذكر ، وتحويل حلقاته الى حفلات للزار .. يأتون فيها كل شىء الا الذكر الذى أمرنا به الرسول ﷺ وأرشدنا اليه ..

هذه الأمور وغيرها .. مما نختلف فيه مع الصوفية ويرفضها الفكر الاسلامى الصحيح لمجافاتها لعقيدة التوحيد التى جاء بها الرسول ﷺ ، وأعلى رايتها الأسلام .. هى موضوع هذا الكتاب ..

* * *

ونحب — ونحن نختتم هذا التقديم — أن نقول :

اننا لا نهدف — بهذا الكتاب — الى محاربة الصوفية ، ولا نريد هذه الحرب معها .

ولا رغبة لنا فى معاداة الصوفية ، أو جلب هذا العداء علينا .

نقرر هذا بالوضوح كله ، حتى لا ندع مجالا لأى شك أو لبس .

نحن لا نبغى سوى الحقيقة وحدها ..

والحقيقة الوحيدة أن الاسلام هو دين التوحيد ..

والتوحيد .. هو الكلمة الطيبة : أصلها ثابت وفرعها فى السماء ..

هو الشجرة الوارفة التى يستظل بظلها المسلمون فى أركان الدنيا كلها ..

التوحيد .. هو الجذور الضـــاربة فى أعماق الأرض ، وهو الجذوع التى ترتفع فوق ظهرها ..

هو الأغصان التى تمتد فى الفضاء ، وهو الثمرة الطيبة التى أهدتها هذه الشجرة المباركة الى البشرية جمعاء ..

التوحيد .. هو المـــاء الذى يروى الجذور ، والفضـــاء الـــذى تخترقه الجذوع ، والهواء الذى تتنسمه الأغصان . .

وأخيرا .. التوحيد هو روح الاسلام ، وسر وجوده .

ولهذا حرصنا ـــ فى هذا الكتاب ـــ على التزام الحياد الكامل : بقـــدر الوسع والطاقة .. فلم نعرض لرأى يختلف مع الصوفية ، الا وعرضنا فى مقابله رأى الصوفية فى المسألة نفسها .. وان كنا ـ بحكم عقيدتنا فى الاسلام ـــ نقف فى صف التوحيد ونستظل برايته ..

ولا نحب أن نتعصب لرأى دون آخر .. الا اذا كان معه ما يسنده من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ..

وقد كان الامام أبى حنيفة يقول : « رأينا هذا صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب .. هذا رأينا ، فمن جاءنـــا بأحسن منه قبلناه » ..

ويقول الرسول ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » ..

وخير ما نختم به .. هو قول الله تعالى : **« قـــد جاءكم بصـــائر من ربكم ، فمن أبصر فلنفســـه ، ومن عمى فعليها ، وما أنا عليـــكم بحفيظ »**[١٢] .

والله الموفق ، وهو المستعان .

القاهرة فى ٣ جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ

١٢ فبراير ١٩٨٦ م

محمد نور الدين البلتاجى

* * *

---

(١٢) الأنعام : ١٠٤ .